

الباب الثالث عشر

في ذكر دخانها وشررها ولهبها

قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ [١] في سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿ ٤٢ ﴾ وَظِلٍّ مِّنْ تَحْمُومٍ ﴿ ٤٣ ﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿ ٤٤ ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤] .

قال ابن عباس : ظل من دخان ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وغير واحد . وعن مجاهد قال : ظل من دخان جهنم وهو السموم . وقال أبو مالك : اليعموم : ظل من دخان جهنم .

قال الحسن وقتادة في قوله : ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [٢] لا بارد : المدخل ، ولا كريم : المنظر ، والسموم : هو الريح الحارة ، قاله قتادة وغيره .

وهذه الآية تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة : الماء ، والهواء ، والظل . فهواء جهنم : السموم ، وهو الريح الحارة الشديدة الحر ، وماؤها : الحميم وهو الذي قد اشتد حره ، وظلها : اليعموم وهو قطع دخانها ، أجارنا الله من ذلك كله بكرمه ومنه .

وقال تعالى : ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ [٣] [المرسلات: ٣٠] قال مجاهد : هو دخان جهنم اللهب الأخضر والأسود والأصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت .

قال السدي في قوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ [٤] [المرسلات: ٣٢] قال : زعموا أن شررها ترمي به كأصول الشجر ثم يرتفع فيمتد .

وقال القرظي : على جهنم سور فما خرج من وراء سورها يخرج منها في عظم القصور ولون القار .

وقال الحسن والضحاك في قوله : ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ [٥] هو كأصول الشجر العظام .

وقال مجاهد : قطع الشجر والجبل . وصح عن ابن مسعود قال : شرر كالقصور والمدائن . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : شرر كالقصر يقول : كالقصر العظيم .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : كنا نرفع من الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل نرفعه للشتاء نسميه القصر^(١) .

وقوله : ﴿ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٣] قال ابن عباس : حبال السفن يُجمع بعضها إلى بعض تكون كأوساط الرجال^(٢) . وقال مجاهد : هي حبال الجسور . وقالت طائفة : هي الإبل ، منهم الحسن وقتادة والضحاك وقالوا : الصفر هي السود . وروى عن مجاهد أيضاً .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ جُمِلَتْ صُفْرٌ ﴾ قال : يقول : قطع النحاس .

قال الله عز وجل : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾ [الرحمن : ٣٥] . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ يقول : لهب النار ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ يقول : دخان النار . وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح وغيرهما إن النحاس : دخان النار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ قال : دخان . وقال أبو صالح : الشواظ : اللهب الذي فوق النار ودون الدخان . قال منصور عن مجاهد : الشواظ : هو اللهب الأخضر المتقطع . وعنه قال : الشواظ : قطعة من النار فيها خضرة .

قال الحسين بن منصور : أخرج الفضيل بن عياض رأسه من خوخة فقال منصور عن مجاهد : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير (سورة والمرسلات) ٢٠٤/٦ .

(٢) أخرجه البخاري في الموضوع السابق ٢٠٥/٦ بلفظ : حبال السفن تُجمع حتى تكون كأوساط الرجال .

[الرحمن : ٣٥] ثم أدخل رأسه فانتحب ، ثم أخرج رأسه فقال : هو اللهب المنقطع ولم يستطع أن يميز الحديث .

١ - (٩٦) وخرج النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف امرئ أبدا » ^(١) .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه ^(٢) .

(١) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ١٣٠ / ٧ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ا.هـ . والنسائي في السنن ، كتاب الجهاد ، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ١٣ / ٦ [بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي] . واللفظ له غير أن فيه : « .. في جوف عبد أبدا » . وفي رواية : « .. في وجه رجل أبدا » .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤٤ / ٦ . ولفظه : « لا يجمع الله في جوف رجل غبارا في سبيل الله ودخان جهنم .. » . وإسناده صحيح - كما في المسند ٥٦٩ / ١٨ (٢٧٣٧٦) .